

الهوية الثقافية في تونس وتشكل الشخصية التونسية

The cultural identity in Tunisia and the Tunisian character

إعداد: الدكتور صابر فريحه

كاتب صحفي/ باحث تونسي في علم اجتماع الاتصال وميديا

Email: saber.assabahh@gmail.com

المخلص:

إن مجرد محاولة رسم جوانب من الشخصية التونسية وتمظهراتها الثقافية والحضارية والتاريخية يفاجئ الباحث المتجرد بالطابع السلبي لملامح تكوين وتأصل الشخصية التونسية، لما يراه البعض اغترابا أو تغربا أو استنقارا أو انبثاتا ثقافيا .. غير أنه ليس سوى هو اثر تراكمي لفواعل حضارية حاصلها تعاقب المد الاستعمار والغزو والاحتلال والوصاية والتبعية والحماية...الأجنبية التي حولت افريقية في تاريخها القديم وتونس في عهدها المعاصرة والحديثة ولعوامل جغرافية صرف تتصل بموقعها ووجودها الحيواستراتيجي عنوانا متقدما للأجندات الامبريالية وحديثة ثقافية خلفية ربما كانت مطمورا للإنتاج الفلاحي للإمبراطوريات القديمة. ضمن هذا الخطاب الواعي بتحديات بناء شخصية تونسية متجذرة في أصولها ومعتزة بهويتها، تؤكد الطروحات السوسيولوجية والانثروبولوجية والفلسفية أن هوية المجتمعات إنما تحددها الثقافة بمفهومها الشمولي الواسع رموزا وأشكالا وممارسات... وتطرح مسألة الهوية الثقافية نظاما من العلاقات والثقافية يؤصل لبناء مفهوم الهوية الذاتية (الشخصية الفردية) والهوية الاجتماعية (الشخصية القومية) مع ما ينضوي تحت هذين المصطلحين الاجتماعيين من محددات تشكل ملامح "الشخصية القاعدية" وتشخيص سمات "الشخصية الأساسية" بالمفهوم الأنثروبولوجي.

من هذا المنطلق يروم هذا العرض الكشف عن نظام العلاقة القائم بين البيئة الثقافية في أثرها التراكمي وانعكاساته على تشكل الشخصية التونسية بمواصفات ظلت على الدوام في نظر الأدبيات التراثية منذ ابن خلدون وأدباء الرحلة والمستكشفين الغربيين وفي جوانب كبيرة منها "شخصية تسليية". ولئن أقل التناول السوسيولوجي للمسألة في النبش في أصول ومرجعيات "الشخصية التونسية المستنفرة" كما وسماها الباحثان المنصف وناس ومحمود الذوايدي، ورددها وإرجاعها إلى حالات الإرتباك والتوجس من الآخر "التونسي" كالعوامل التاريخية،

رغم تناقض هذه الأوصاف مع "مردودية الإنسان التونسي" ولطفه في علاقاته بالآخر الأجنبي. بين "الإينية" و"الأخرية"، تتشكل شخصية تونسية هي امتداد لبيئة ثقافية ما فتئت تفاعل مع طبيعة الحراك الثقافي والاجتماعي الذي طبع الجغرافيا التونسية ووسم تاريخها قديما ووسيطا ومعاصرا وحديثا. ومن هذا المنطلق تسير مقاربتنا أغوار مدارات مفهوم الهوية حسب مقاربات مختلفة أو مؤتلفة بدءا من المقاربة التراثية لمفهوم "الهوية" و مقاربات العلوم الإنسانية والاجتماعية في سياق اندراجاتها ضمن الثقافة العربية في صلتها باللغة والدين والعادات... وجدلية التراث والحداثة وجهود التحديث، وإرادات التغيير بين الثابت والأخرية على صعيد البيئة العربية ككل.. ضمن هذه الوقائع العلمية والواقع الحضاري تتشكل معالم الهوية الثقافية/الحضارية التونسية في بيئة ذات رمال متحركة ناحتة تضاريس الشخصية التونسية بمواصفاتها المميزة والتميزة التي نسعى إلى عرض حوصلة لمختلف المناهج والأساليب المعتمدة في دراسة الشخصية عربيا وغربيا وفي سياقات الدراسات الاجتماعية والإنسانيات والبحوث الحضارية ونقدها.. عارضين في المقابل أهم المقاربات التطبيقية لدراسة الشخصية التونسية محايثتين للبيئة الحضارية التونسية من قبل أهم باحثين تونسيين ونقصد بهما الأستاذين المنصف وناس ومحمود الذواودي، ومستعرضين أهم ملامح التشكلات التاريخية للصورة السلبية للشخصية القاعدية التونسية في التاريخ والسوسيولوجيا، المطبوعة بطواهر اجتماعية خطيرة وسلبية كالعنف اللفظي والجسدي، والمحسوبة الإدارية وغيرها من الظواهر التي استمرت تطبع جوانب من أعماق شخصية التونسي حتى بعد الثورة وسقوط رأس النظام دون سقوط أشكال وممارسات النفاق الاجتماعي والثقافي.

الكلمات المفتاحية: الشخصية - الذاتية - القومية - الثقافة - الهوية

Abstract

The mere attempt to draw aspects of the Tunisian character and its cultural, civilizational and historical appearances surprises the researcher with the negative features of the formation and originality of the Tunisian character. However, it is only a cumulative effect of civilizational factors resulting in the succession of colonialism and dependency.

Within this conscious discourse of the challenges of building a Tunisian personality rooted in its origins and proud of its identity, sociological, anthropological and philosophical propositions emphasize that the identity of societies is determined by culture in its broad holistic concept of symbols, forms, and practices ...

From this standpoint, this article aims at revealing the existing system of relationships between the cultural environment in its cumulative effect and its repercussions on the formation of the Tunisian character with characteristics that have always been in the literature heritage since Ibn Khaldoun, and western explorers and writers.

That's why we won't just limit our research to the historical facts but we will dive deep in the most important applied approaches to studying the Tunisian character made by Dr Mahmoud Al-Thawadi and Dr Moncef Wannes, showing The negativity of the Tunisian grassroots personality in history and sociology, printed with serious and negative social phenomena such as verbal and physical violence, administrative favoritism and other phenomena that continue to print aspects of business Al-Tounsi's personality even after the revolution and the fall of the head of the regime without the fall of forms and practices of social and cultural hypocrisy .

Keywords: Personality - Self - national - Culture - Identity

مقدمة

تؤكد الطروحات السوسيولوجية والانثروبولوجية والفلسفية أن هوية المجتمعات إنما تحددها الثقافة بمفهومها الشمولي الواسع رموزا وأشكالا وممارسات... وتطرح مسألة الهوية الثقافية نظاما من العلاقات والثقافية يؤصل لبناء مفهوم الهوية الذاتية (الشخصية الفردية) والهوية الاجتماعية (الشخصية القومية) مع ما ينضوي تحت هذين المصطلحين الاجتماعيين من محددات تشكل ملامح "الشخصية القاعدية" وتشخيص سمات "الشخصية الأساسية" بالمفهوم الأنثروبولوجي.

من هذا المنطلق يروم هذا العرض الكشف عن نظام العلاقة القائم بين البيئة الثقافية في أثرها التراكمي وانعكاساته على تشكل الشخصية التونسية بمواصفات ظلت على الدوام في نظر الأدبيات التراثية منذ ابن خلدون وأدباء الرحلة والمستكشفين الغربيين وفي جوانب كبيرة منها "شخصية تسلية". ولئن أقل التناول السوسيولوجي للمسألة في النيش في أصول ومرجعيات "الشخصية التونسية المستنفرة"¹ وردها وإرجاعها إلى حالات الإرتباك والتوجس من الآخر "التونسي" كالعوامل التاريخية، فإن هذه البحوث تبقى منقوصة أو مجانية لحقيقة "مردودية الإنسان التونسي" ولطفه في علاقاته بالآخر الأجنبي. بين "الإنية" و"الأخرية"، تتشكل شخصية تونسية هي امتداد لبيئة ثقافية ما فتئت تفاعل مع طبيعة الحراك الثقافي والاجتماعي الذي طبع الجغرافيا التونسية ووسم تاريخها قديما ووسيطا ومعاصرا وحديثا.

¹ راجع مستنبتات استخدام هذا المصطلح ضمن مفاصل مؤلف الدكتور محمود الذوايدي المهور بـ"الوجه الآخر للمجتمع التونسي"، تير الزمان، تونس .٢٠٠٦.

١- مدارات مفهوم الهوية :

يثير مفهوم "الهوية" العديد من الإشكاليات والقضايا الخلافية والخط المفاهيمي الناتج عن التداخل بين التعريفات المتداولة في أبواب العلوم الإنسانية لمصطلح "الهوية" في حد ذاته أو المفاهيم القريبة منه على غرار مفهوم "الشخصية" و"الذاتية" و "القومية" و"الإنية" ... وغيرها من المصطلحات المتقاطعة مع مفهوم "الهوية" ودلالاته الاصطلاحية ومدلولاتها اللغوية، هذا فضلا عن غياب الدقة اللغوية لمصطلح الهوية كلفظ مشتق من "الهُو" في وضع لغتنا العربية.^٢

١,١- المقاربة التراثية لمفهوم "الهوية":

لا أثر في المدونة المعجمية اللغوية للفظ "الهوية" بضمّ الهاء* لا في استخداماته الإجتماعية اليوم أو لمواضع دلالية أخرى، إلا أنّ المدونة التراثية العربية عرضت استخدامات فلسفية وكلامية وصوفية باستعمالات متقاربة كما أوردها التهانوي بقوله : "الهوية بضمّ الهاء وياء النسبة هي عبارة عن التّشخّص وهو المشهور بين الحكماء والمتكلمين وقد نطلق على الوجود الخارجي، وقد تطلق على الماهية مع التّشخص وهي الحقيقة الجزئية.. وهي مأخوذة من لفظة "هو" الذي هو للإشارة إلى الغائب وهو حقّ الله تعالى إشارة إلى كنه ذاته باعتبار أسمائه وصفاته مع الفهم بغيوبة ذلك..."^٣ ويعرفها الحرجاني بأنها : "الأمر المتعلق من حيث امتيازها عن الأغيار"، وكتب ابن رشد في تلخيص ما بعد الطبيعة : "نقال بالترادف على المعنى الذي يطلق عليه اسم الموجود وهي مشتقة من "الهُو". كما تشتق الإنسانية من الإنسان، وإنما فعل ذلك بعض المترجمين لأنهم رأوا أنّها أقلّ تغليفا من اسم الوجود، إذا كان شكله شكل اسم مشتقّ وهي خاصية ماهو واحد أي متفرّد حتى وإن أدركناه من جهات متباينة". وورد في كليات أبي البقاء "ما به الشئ هو يسمّى ماهية إذا كان كليا كماهية الإنسان، وهوية إذا كان جزئيا كحقيقة زيد".^٤

١,٢- مقاربات العلوم الانسانية والاجتماعية لمفهوم الهوية :

١,٢,١. فلسفياً: الهوية (Identité/identity) مقولة تعبّر عن تساوي وتماتل موضوع أو ظاهرة جامع ذاته، أو تساوي موضوعات عديدة، فالموضوعان (أ) و(ب) يكونان متطابقين من حيث الهوية إذا كانت كل الصفات و(العلاقات) التي تميز (أ)، مميزة أيضا للموضوع (ب) والعكس بالعكس (حسب قانون لايبنتس). ولكن لما كان الواقع المادي يعتريه تغير مستمرّ، فإنه لا يمكن أن تكون هناك موضوعات تنطبق هويتها بصورة مطلقة على ذاتها حتى في صفاتها الجوهرية والأساسية. والهوية متعينة وليست مجردة، أي أنها تحتوي على تمايزات كامنة، وتناقضات يتم حلها خلال عملية التطور التي ترجع إلى شروط معينة. وينتطلب تعيين هوية الأشياء أن يكون قد تم تمييزها مسبقا، ومن ناحية أخرى فإن الموضوعات المختلفة غالبا ما تحتاج إلى تحديد هويتها. (بهدف تصنيفها مثلا)

^٢ - من أبرز المصطلحات القريبة من مفهوم "الهوية"/"القومية"/ وهي مفهوم سياسي مجرد يبرز تأكيد الوحدة وعدم التبعية القانونية وهي تعبير عن "الأمة" التي هي جماعة من البشر مستقرة تكونت تاريخيا من جراء وحدة الواقع الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والتاريخي./ الصورة القومية/ وهي كيفية تصور شعب لسماة شعب آخر./ "الثقافة السياسية"/ وهي مجموعة القيم والمعتقدات السياسية السائدة في أي مجتمع.
* الهوية بفتح الهاء هي الهوية الحقيقية كما عرضها على سبيل المثال صاحب القاموس المحيط الفيروز أباي في (باب الواو والياء، فصل الهاء)
^٣ التهانوي (محمد علي) : كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق محمد وجيه وآخرون، كسته (١٨٦٢)، ج (٢)، حرف الواو، ص (١٥٣٩-١٥٤٠).

^٤ - التونسي الزواري (سارة) : المعجم الفلسفي النقدي، مطبعة التفسير الفني، صفاقس، تونس (٢٠٠٥)، حرف "الهاء" ص (٤٤٣-٤٤٤).

وهذا يعني أن الهوية ترتبط ارتباطاً لا يمكن فصله بالتمييز كما أنها نسبية، وكل هوية مؤقتة وانتقالية، بينما تطور ها وتغيرها مطلقان.^٥ ومبدأ الهوية عند المناطقة هو مبدأ أساسي، ويعبر عنه كالتالي: "ما هو وما ليس هو ليس هو أي (أ) = (أ)، ويعبر مبدأ الهوية عن الإتساق المطلق للفكر مع نفسه وقد عد أساس كل برهان.

٢،٢،١ - في علم النفس: الهوية هي وحدة الشخص الذي يملك شعوراً يتمثل في البقاء هو نفسه مهما كانت الحالات التي يمر بها.^٦ ومن أوضح تعريفات الهوية أنها "حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره"، ولهذا قال الفارابي: "هوية الشيء وجوده المنفرد له الذي لا ينفع فيه اشتراك".^٧

٣،٢،١ - في علم الاجتماع: مفهوم الهوية في علم الاجتماع متعدد الجوانب ويمكن مقارنته من عدة زوايا. فالهوية بشكل عام تتعلق بفهم الناس وتصورهم لأنفسهم ولما يعتقدون أنه مهم في حياتهم. ويتشكل هذا الفهم انطلاقاً من خصائص محددة تتخذ مرتبة الأولوية على غيرها من مصادر المعنى والدلالة، ومن مصادر الهوية: الجنسية، والتوحد الجنسي، والجنسية، أو المنطلقات الإثنية، والطبقة الاجتماعية. ويتحدث علماء الاجتماع في العادة عن نوعين من الهوية وهما الهوية الاجتماعية والهوية الذاتية (أو الهوية الشخصية)، ويمكن التمييز بين هذين النوعين عن طريق التحليل غير أنهما مترابطان بشكل وثيق. ويمكن النظر إليهما من خلال علامات ومؤشرات تجدد موضوع الشخص بين أفراد آخرين يشاركونه الخصائص نفسها، ومن الأمثلة على الهوية الاجتماعية: الطالب، الأم، المحامي، الإفريقي، الكاثولوكي، المتزوج وغيرها... فقد يكون المرء في الوقت نفسه، أمًا، مهندسة، مسلمة، تونسية، برلمانية...

وهكذا تتعدد الهويات الاجتماعية وتعكس أبعاداً عديدة من حياة الناس. وقد تكون التعددية في الهويات الاجتماعية مصدراً محتملاً للصراع بين الناس، غير أنّ الأفراد في العادة ينظمون معاني حياتهم وتجاربهم حول هوية محورية أساسية تتميز بالاستمرارية النسبية عبر الزمان والمكان (المواطنة/القومية).

وعلى هذا الأساس فإن الهويات الاجتماعية تتضمن أبعاداً جماعية، فهي تعطي مؤشراً على أن الأفراد "متشابهون" مثلهم مثل غيرهم من الناس. والهويات المشتركة التي تركز على منظومة من الأهداف والقيم والتجارب المشتركة تستطيع أن تشكل قاعدة مهمة للحركات الاجتماعية. ومن الأمثلة على ذلك الحركات النسوية والبيئية والعمالية وأنصار الحركات الأصولية الدنيوية أو الوطنية (القومية). ففي مثل هذه الحالات تتخذ الحركات من الهوية الاجتماعية المشتركة مرتكزاً ومصدراً قوياً لتوجهاتها وأنشطتها.

وإذا كانت الهويات الاجتماعية دليلاً على التشابه بين الأفراد فإن الهوية الذاتية أو (الهوية الشخصية) تضع الحدود المميزة لنا بوصفنا أفراداً. وتشير الهوية الذاتية (أو الهوية الشخصية) إلى عملية التنمية الذاتية التي نرسم من خلالها ملامح متميزة لأنفسنا ولعلاقاتنا مع العالم حولنا. وتستمد فكرة الهوية الذاتية كثيراً من عناصرها من أعمال المدرسة التفاعلية الرمزية إذ يسهم التفاوض المستمر بين الفرد والعالم الخارجي في رسم وإعادة تشكيل تصوره/تصورها عن نفسه/نفسها.

^٥ - الموسوعة الفلسفية : وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، بيروت (١٩٧٤) ط (١)، حرف الهاء، ص (٥١٧).

^٦ - المعجم الفلسفي النقدي، مصدر سابق ص (٤٤٣-٤٤٠).

^٧ - الفارابي. التعليقات ص (٢١)، نقلاً عن جميل صليبا. المعجم الفلسفي، ط دار الكتاب اللبناني، بيروت (١٩٧٣) ج (٢)، ص (٥٣٠).

كما يسهم التفاعل بين الطات والمجتمع في ربط العالمين الشخصي والفردي ببعضهما البعض. وفيما تعمل البيئة الثقافية والإجتماعية عملها في تشكيل الهوية الذاتية، فإن العامل والخيار الفرديتين يقومان بدور مركز مهم في هذا المجال.^٨

٣,١ - منظومة الهوية الثقافية العربية :

يمكن القول إن الهوية هي أولاً ما يعرف به في ذاته أي فرد أو مجتمع معرفة تميزه عن الآخر المختلف عنه أو المغاير له.^٩ وهذا التعريف يصاغ في التدليل على مفهوم مستحدث وهو "الهوية الثقافية" التي تجمع "كل ما يمنح الناس مشاعر الإنتماء والأمن والاندماج بالجماعة حيث تزودهم بالمعايير المشتركة والتي تمكنهم من التواصل والتفاعل وتزودهم بالقيم والطموحات المشتركة وبامكانيات التوقع بسلوك الآخرين مما يساهم ببناء شعور الثقة بين الناس، ومكونات الهوية تشير إلى ما يمكن تسميته بالرأسمال الإجتماعي حيث تساهم الهوية الثقافية إلى درجة كبيرة في التمييز بين الجماعات. ومن هذا الفهم فإن المحافظة على الهوية الجماعية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمطلب الإستقلالية الثقافية، فالثقافة والهوية مفهومات يحيلان إلى الواقع نفسه، فالهوية الثقافية تتضمن منظومة القيم أو المعايير القياسية التي تميز بها جماعة أو مجتمع بين ما هو جيد وما هو سيء، بين ما هو مرغوب وما هو غير مرغوب".^{١٠}

وفي هذا الإطار تتحدد الهوية بالإجابة عن السؤال من نحن؟ ماخصائصنا؟ بماذا تتميز شخصيتنا؟ وبماذا نختلف عن الآخرين؟ وماهي العوامل المشتركة بيننا؟ الثوابت وما المتغيرات في تكوين شخصيتنا؟ مالمتغيرات التي يمكن أن تحدث أو التي يمكن إحداثها دون أن تتشوش هويتنا؟

إن تناول إشكالية "الهوية الثقافية" يتطلب ضرورة تبني النهج المنطومي (approach system) ضماناً للشمولية في تناول ولا يكفي في تناول هذه المنظومة على عناصرها المكونة بل يتوجب علينا أن نتناول بنفس الدرجة من الأهمية شبكة العلاقات البنائية التي تربط بين هذه العناصر وهي : اللغة، والمعتقدات ومنظومة القيم، والتراث، والإنتاج الفكري الإبداعي. على هذا فإن الهوية الثقافية العربية ترتبط بمجموع السمات الحضارية (اللغة، الدين، الإديان والمعتقدات، التراث، التاريخ...) المرتبطة بعمق المجال التاريخي والتي تميز شعبا من الشعوب أو أمة من الأمم أو حضارة من الحضارات عن غيرها.^{١١}

وتتسم منظومة الهوية في الثقافة العربية بالتماسك وبقوة الصلة بين عناصرها ومكوناتها، والأدلة والشواهد على ذلك كثيرة وأهمها:

- علاقة اللغة بالمعتقدات ومنظومة القيم : فقد قامت الحضارة العربية الاسلامية على نصوص لغوية حاكمة محكمة في نفس الوقت الذي يعد فيه النص القرآني المصدر الأساسي لقواعد اللغة العربية : صرفاً ونحواً ودلالة وبلاغة.
- علاقة اللغة بالتراث : حيث يعد تراث اللغة العربية من أدب ونثر وشعر أهم فروع التراث العربي بلا منازع.

^٨ -غندز (أنتوني)، علم الإجتماع (مع مدخلات عربية)، ترجمة وتقديم د. فايزالصياغ، المنظمة العربية للترجمة، مؤسسة ترجمان، ط (١). بيروت أكتوبر (٢٠٠٥) ص (٩٠ - ٩١)

^٩ - كوش (دوني)، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة قاسم مقداد، منشورات اتحاد الكتاب الرب، دمشق (٢٠٠٢) ص (٠٨).

^{١٠} - حسن (سمير إبراهيم)، الاستراتيجيات والسياسات الثقافية الوطنية والقومية ودورها في ترسيخ الهوية والأمن الثقافي العربي، المجلة العربية للثقافة، العدد (٤٦) مارس (٢٠٠٥) ص (٩ - ٤٥).

^{١١} - خوالدية (الضاري)، شخصية التونسي : محصول الجغرافيا والتاريخ ، تونس (د ت) ص (٠٨).

- علاقة اللغة العربية بالإنتاج الكروي والإبداعي : كما كان علم الكلام أحد الركائز الأساسية للفكر الإسلامي فيما مضى، وتعدّ اللغة العربية حالياً مدخلاً أساسياً لتجديد الفكر العربي خاصة في ضوء تعاظم دور اللغة في مجتمع المعلومات فلسفياً وعلمياً وإعلامياً وابتداعياً وتكنولوجياً.
- علاقة المعتقدات بمنظومة القيم والتراث: يمثل التراث الديني وما ارتبط به من تراث فلسفي ولغوي وتشريعي وتربوي أهم فروع التراث العربي قاطبة في حين يمثل الموقف من التراث الديني أبرز سمات حوارنا مع أنفسنا ومع الآخرين.
- علاقة المعتقدات ومنظومة القيم بالإنتاج الفكري والإبداعي : وهي تتمثل في موقف الإسلام من الإبداع الفني، وكذلك من المدارس الفكرية الحديثة، يضاف إليه ما ينادي به البعض من أسلمة المعرفة بصورة شاملة أو انتقائية لدى التيارات الإسلامية.
- علاقة التراث بالإنتاج الفكري والإبداعي : يمثل التراث العربي في العلوم والأدب والشعر والموسيقى والعمارة والتراث الشعبي أهم موارد انتاجنا الثقافي الملهم في عصر المعلومات والتقدم العلمي والتكنولوجي.^{١٢}

٤,٢,١ - الهوية الثقافية بين الثوابت والآخريّة:

لا شك أن الهوية الثقافية هي بالضرورة انتماء وتميز وخصوصية باعتبار أن مطلق الهوية هو "ما تكون به أنت وليس غيرك"^{١٣} وعلى هذا فإن لكل منظومة ثقافية ثوابتها التي نتمسك بها ونناضل من أجل الحفاظ عليها تأكيداً على أصالتها وتجدرها، فالحفاظ على الأصالة والتميز هو عنصر ثابت وأساسي في الهوية^{١٤} وإذا أردنا إثبات الذات والمحافظة عليها فإن ذلك يقتضي قطعاً الانتماء بمكوناته المادية والمعنوية، والانتماء المادي ينشده الإنسان أولاً إلى أرض وثانياً إلى مجموعة بشرية وهذه من الثوابت في هوية الفرد والجماعة، والإنسان العربي بهذا الفهم تشده إلى أهله وأرضه العربية روابط ظاهرة وباطنة و شائخ منغرس في ملكاته العقلية والروحية في العناصر المكونة للشخصية إذ مجرد الانتماء إلى الرقعة الجغرافية يبقى قاصراً عن تحديد مفهوم الهوية إذا لم يصحبه تحديداً للمميزات والخصوصية والذاتية. وهذا يجرننا إلى مكامن الاختلاف عن الآخر والفرادة والخصوصية عن آخر يشاركنا في الأصل الطبيعي (الإنسانية)، فالثقافة هي القيمة المضافة على الطبيعة وهي التي تشكل نواة الهوية، فتفاعل الإنسان مع محيطه الطبيعي والحيوي هو الذي ينتج الثقافة، تصفها جملة العناصر الروحية والمشاعر والمثل لمجموعة بشرية معينة في زمان ومكان معين، إذن فجوهر الهوية ونواتها هي للثقافة، وهذا معنى قولنا: "إن كل هوية تتمسك بتميزها وتنال من أجل الحفاظ على أصالتها"^{١٥}. لذلك تكون التنشئة الأولى لكل جيل في إطار الرصيد الحضاري للأمة من لغة وعقيدة وقيما وتقاليد وذوقاً وسلوكاً" تلك المقومات المؤسسة لمفهوم الضمير الجمعي، تلك الصفات المشخصة لمفهوم الهوية بثوابتها ومتغيراتها، بمنجزات الماضي ومكتسبات الحاضر،

^{١٢} - علي (نبيل)، استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعريف بالهوية العربية واثرائها والتحدي الإسرائيلي المعلوماتي، المجلة العربية للثقافة، العدد (٤٦)، الألكسو، تونس مارس آذار (٢٠٠٥) ص(٩٩).

^{١٣} - بن عامر (توفيق)، الهوية الثقافية بين الثبات والتغير، مجلة الحياة الثقافية، العدد (١٩٧) تونس نوفمبر (٢٠٠٨)، ص (١٨-٢٢).

^{١٤} - القباج (مصطفى)، إسهام الثقافة في الحفاظ على القيم الحضارية والإنسانية، مجلة الحياة الثقافية العدد (١٨٧) تونس نوفمبر (٢٠٠٧) ص (٥٠-٥٦).

^{١٥} - المصدر السابق ص (٥٣-٥٥) / (٤) عفت الشياخي، مشكلة الهوية بين الثابت والمتحول في الفكر الإصلاحية. ملتقى الذات والآخر، منشورات مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، تونس (٢٠٠٣) ص (١٠٥-١٢٤).

فالإنسان كائن رهن الزمان والمكان يعتز بميراثه ويتصرف بتوقه وعقله وخياله، فليست الهوية معطى ناجزا ونهائيا بل هي طاقة فعل متحركة وعبقرية باحثة عن اماكن التحقق في الوجود وجهد متواصل يستلهم من التجارب السابقة والأحققة في سبيل البقاء المتواصل للكيان.

وهكذا تغدو الثوابت في الهوية هي بدورها عاملا من عوامل دفع عجلة التطور وأداة من أدوات التغيير لأنه لا ثابت في النهاية سوى آلات الجماعية الفاعلة عبر التاريخ^{١٦} كما أن تفاعل الذات مع المحيط ومكوناته المغايرة ومؤثراته المخالفة تجعل من الغيرية ثابتا من ثوابت الهوية وصون محايد لها، تثبت بنباتها وتغير بتغيرها لأن الغيرية مرآة للذاتية وهل يرى المرء نفسه إلا في المرآة^{١٧}.

إن طبيعة الهوية المزوجة تجعلها متوفرة على مجموعة من الثنائيات كالثبات والتغير والمحافظة والابداع والذاتية والغيرية والموروث والمكتسب والماضي والمستقبل، وكل هذه الثنائيات هي الدالة والضامنة في أن واحد لحركيتها وحيويتها ولتوازنها وتفتحها، وهذه الصفات كلها هي المحققة لعضويتها وقدرتها على التجدد وتأكيد الذات في عالم البقاء والتغلب على عوارض العدم والفساد.^{١٨}

٢- معالم الهوية الثقافية / الحضارية التونسية :

١،٢- أهمية البيئة الثقافية :

أمكن لبعض الرواد الأوائل للأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية تحديد أهمية الروابط القائمة بين البيئة والثقافة في ضوء الهدف العام وهو استخلاص قوانين نمو الثقافات. وبهذا المعنى فالكرة الأرضية كلها مناطق ثقافية، بعضها بدائي والآخر متمدن حسب التعريفات الأنثروبولوجية على أن التطورات التي

شهدتها الأنثروبولوجيا الثقافية في النصف الثاني من القرن العشرين خاصة مع "وايت White" كتابه "مفهوم الثقافة the concept of culture" والذي تمكن من تحديد الأشياء والأفعال التي يضيف عليها الإنسان معاني محددة بالأفكار والعقائد والاتجاهات والعواطف والعادات والقوانين والنظم والأشكال الفنية واللغات، وهذه المعاني يمكن اختبارها بالملاحظة والتحليل والمقارنة في أحد إطارين الأول شخصي (somatic) والثاني غير شخصي (extrasomatic) فالأول هو تحليل الشيء في علاقته المباشرة بنفسية الفرد والجماعة، أما الثاني فهو يحلل علاقة الأشياء بعضها البعض خارج الشخصية الإنسانية. هكذا نقرب من صيغة "البيئة الثقافية" وهي شديدة الاختلاف عن "المنطقة الثقافية" فالعالم مقسم انثروبولوجيا إلى مناطق ثقافية بدائية ومدنية وغير ذلك، ولكن البيئة الثقافية تحتاج إلى مقومات من دونها قد توجد ثقافة بالمعنى البالغ التعميم، ولكن لا توجد البيئة القادرة على تنمية الثقافة وشحن ديناميكيتها في صقل الشخصية الإنسانية للفرد والمجتمع أي أن انعدام "البيئة الثقافية" هو غياب مطلق للتطور البشري وهو الغياب الذي قد يفضي إلى الانقراض.^{١٩}

^{١٦} -محمود (محمد) الفكر الإسلامي المعاصر ورهانات المستقبل، المركز الثقافي العربي ط (١)، الدار البيضاء، المغرب.(١٩٩٩) ص (١٧٤-١٧٥).

^{١٧} - جاكوب (فرانوا) لعبة الممكنات، بحث في تباين الحي، دار الحصاد، دمشق (١٩٩١) ص (٢٠).

^{١٨} - حرب (علي)، مصيدة الأسماك والهويات، ندوة الآخر، منشورات كلية الآداب صفاقس، ط ١، نوفمبر، صفاقس (٢٠٠٠) ص (٥٦-٥٠).

^{١٩} - نقلا عن كتاب الأنثروبولوجيا الثقافية للدكتور عاطف وصفي، دار النهضة العربية بيروت (١٩٧١)، ص (٤٧).

لقد أكدت عديد الطروحات الفلسفية والاجتماعية على أن هوية المجتمعات تحددها أساسا الثقافة باعتبارها تمثل مجموع المعايير الاجتماعية القيمة التي تحدد سلوك المجموعة البشرية على رقعة أرض محددة في فترة زمنية معينة من التاريخ البشري. فالثقافة هي المحدد المحوري لملامح المجتمع والضامن لبقائه والمميز بينه وبين الكيانات الاجتماعية والثقافية والحضارية الأخرى. لذلك يعتبر آخرون الثقافة "القلعة الأخيرة لمعاقل الصراع من أجل البقاء الثقافي" ذلك أن مختلف القيم والمعايير والأفكار والإبداعات والتغييرات الملازمة لمجتمع ما، تبقى أقدر على الصمود حين انهيار القوى المادية والعسكرية والأجهزة السياسية لذلك تبقى المسألة الثقافية موضوع تحفيز وتجديد وإصلاح عند الشعوب والأمم المستيقظة والساعية إلى النهوض ومقاومة مظاهر التبعية والغلبة والإنكسار، لا بل بات الفعل الثقافي مؤشرا أساسيا للنهضة والتطور والإقلاع بالإضافة إلى عناصر النمو المادي.^{٢٠}

٢, ٢ - البيئة الثقافية التونسية :

لقد أسهمت جملة من العوامل التاريخية والجغرافية والحضارية عموما في تشكل الهوية الثقافية التونسية، إذ تعتبر "فريقية" (الإسم التاريخي) لتونس اليوم بوابة إفريقيا على المتوسط ودول الشمال وهي من أقدم بلدان المغرب العربي حدودا وأعرقتها بنية جيوسياسية، وأعرفها بالغزو الخارجي والإحتلال الإستيطاني، بالنظر إلى انفتاحها المتوسطي وموقعها الإستراتيجي المذكور فضلا عن امتداد سواحلها (١٣٠٠ كم) وانفتاحها على الصحراء الكبرى جنوبا، هذا دون إغفال شساعة سهولها الخصبة وحسبها أنها عرفت بـ"مطمورة روما" كناية عن أنها مخزن القمح الأول بالنسبة إلى العالم القديم كما جاء على لسان الأمير الألماني.^{٢١}

ولعل الخصائص الجغرافية المتقدمة جعلت إفريقية (تونس) مطمع الغزاة ولقمة سائغة للإمبراطوريات وقطاع الطرق وقرصنة البحر وغيرهم... ويمكن

ضبط أهم الأدوار التاريخية التي عاشتها تونس من السيطرة والحكم الأجنبي

الذي تعاقب على إدارة تونس، الدور القرطاجني (٨١٤-١٤٦ ق م) الدور الروماني (٤٦ ق م-٤٣٠ م) الدور الوندالي (٤٣٩م - ٥٣٤ م) الدور الروماني البيزنطي (٥٣٤م - ٦٤٢م) والدور العربي الإسلامي (٦٤٧م - ١٤٧٦م) والدور التركي العثماني (١٤٧٦م - ١٩٥٧م) والدور الفرنسي التركي (١٨٨١م - ١٩٥٦م)، على أن القاسم المشترك بين هؤلاء الغزاة هو البعد الإستيطاني حيث اعتبرت إفريقية في مختلف هذه الأدوار جزء لا يتجزأ من بلدانهم وعولمت كمقاطعة تابعة. كما أن مختلف أنظمة غزاة إفريقية عرفت بطابعها الإستبدادي وحكمها التعسفي وسوء معاملة السكان الأصليين، ومورست تبعا لذلك مظاهر مختلفة من المعاملات القاسية والوحشية من قتل وسبي وتهجير ونهب للممتلكات والأراضي والمحاصيل وتسليط ضرائب مجحفة وجبايات وإتاوات أنهكت الأهالي وروعت العباد واستبعدتهم عن أي دور فعال في الحكم.

هذه الغزوات المتعاقبة والحضارات المتداولة على البلاد التونسية طبعت تاريخ إفريقية بمعالم حضارية ورموز ثقافية وقيم معنوية وأجناس وأثنيات شخّصت الهوية التونسية تاريخيا، ومن أهمها :

- اللغات : الفينيقية/ البونيقية/ اللاتينية/ الاغريقية/ الوندالية/ العربية / التركية/ الفرنسية.

^{٢٠}- بوطالب (محمد نجيب) الثقافة عنصرا فاعلا في التنمية والحياة الثقافية العدد (١٩٧) تونس، نوفمبر ٢٠٠٨، ص (٢٨-٣١).

^{٢١}- بوكليز موسكاو، سيسلاسو في إفريقيا (رحلة أمير ألماني إلى الإيالة التونسية ١٨٣٥م) عربي منير الفندري، بيت الحكمة. تونس (١٩٨٩)، ص (١٠١).

- الديانات والمعتقدات: قرطاجية وثنية/ رومانية وثنية/ مسيحية/ اسلامية.
 - الأعراق والأجناس: الأفريقية / زنجية / بربرية/ أوروبية/ تركية/ ..
- ولعل أصعب ما يعترض الباحث تبين مدى تأثير هذه الحضارات الغازية في شخصية السكان المحليين والأصليين اجتماعيا وثقافيا.^{٢٢}

٣ - مقارنة نظرية لدراسة الشخصية:

١,٣- المناهج النظرية لدراسة الشخصية الاجتماعية:

إن الاختلاف والتعدد الحاصل في تحديد طبيعية " الشخصية القومية" سوف ينعكس ضرورة على المناهج والأساليب المستخدمة في دراسة مفهوم الشخصية القومية لدى مختلف الباحثين المتدارسين لهذا المفهوم، فالعديد من الدراسات القديمة استخدمت أساليب غير "علمية"، "فلا اعتقاد بأن لكل شعب طابع خاص مستمر طوال العصور يمكن تتبعه من خلال التاريخ كله هو اعتقاد قديم "مثل تفسير ذلك بتأثير القوى الطبيعية مثل النجوم والمناخ على غرار هيبيوقراط وبطليموس وجالينوس في العصور القديمة، وفي عصر التنوير تعرض مونتسكيو إلى مفهوم "روح الأمة" القريب من "الشخصية القومية"، ولم تغفل الدراسات الإثنولوجية والأنثروبولوجية الأولى من بدايات القرن العشرين عن تشخيص لمفهوم "الشخصية القومية" على نحو دراسة روث بينديكت (Ruth Benedict) "للشخصية اليابانية"، ثم ليظهر مؤلف (M. Mead) مرغريت ميد عن الجنس والمناخ في المجتمعات البدائية والذي بلورت فيه وجهة نظرها عن هذا المفهوم في مؤلفها الشهير "الشخصية القومية والأنثروبولوجي اليوم". وفي منتصف القرن العشرين اهتم (Geoffry Gorer) جوفري جورر بـ"الشخصية القومية" في عدة مؤلفات مثل "شعب روسيا" و"اكتشاف الشخصية الانجليزية" و"الشعب الأمريكي". لدراسة "الشخصية القومية".^{٢٣} ثم تتالت الدراسات والبحوث من رالف لينتون (Rolph Linton) وإيريك فروم (Erick Fromm) وغيرهم ممن استخدم أساليب علمية لدراسة "الشخصية القومية"^(١)، وفي بيئتنا العربية الإسلامية يمكن اعتبار أهم من تطرق إلى مناهج البحث في الشخصية القومية الدكتور عزت حجازي والذي استعرض الأساليب التالية (الملاحظة/ الاستبصار/ الإستخبار/ تحليل المضمون)^{٢٤}، فيما تميل نادية سالم الى حصر أبرز الأساليب العلمية لدراسة الشخصية القومية في ثلاث أساليب: هي (الأسلوب التحليلي / الأسلوب البنائي/ الأسلوب الكلي)^{٢٥}، وبالرغم مواقف دارسي الشخصية القومية التي تتراوح بين التحفظ والرفض للمفاهيم والتعاريف للشخصية القومية ولمناهج وأساليب دراساتهم فإنهم يكتبون دراساتهم وأبحاثهم ومقالاتهم ويصلون فيها إلى نتائج تتميز بالثقة والتأكيد والاطمئنان.^{٢٦} لذلك نعتقد أنه رغم هذا التعدد في أساليب دراسة الشخصية القومية

^{٢٢} - خوالدية (الضاي)، شخصية التونسي، محصول الجغرافيا والتاريخ، تونس (د ت)، ص (١٢)

^{٢٣} - سالم (نادية)، الشخصية القومية بين الدراسات الوضعية والدراسات القومية، الملحق الأول للجامعيين التونسيين والمصريين، "الذاتية العربية بين الوحدة والتنوع"، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بالاشتراك مع المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة. تونس ١٢-١٧ أبريل (١٩٧٨). ص (٢٨-٢٩).

^{٢٤} - حجازي (عزت)، الشخصية العربية، وحدة أم تنوع، ص (١٠).

^{٢٥} - (٣) سالم (نادية)، المرجع السابق ص (٢٩).

^{٢٦} - (٤) مختار (علي) المرجع السابق ص (٥٩).

فإنه ثمة تتداخل وتقاطع فيما بينها دون تحديد صارم لمنهج ما، ذلك أن الأسلوب التحليلي مثلا يعتمد طرق قياسية مرجعها المقابلة والإستمارة وتحليل الوثائق، كما أن الأسلوب البنائي يعتمد آلية الملاحظة والتحليل أيضا. ويستخدم الأسلوب الكلي أدوات تحليل المضمون للثقافة واللغة والوثائق وتحلي النفس... وهكذا يمكننا الجزم بأن دراسة الشخصية لا تقتضي صرامة الوسائل والأدوات والمناهج بقدر ما تتطلب استعابا للخصائص الموحدة والتميزة "للشخصية القومية" ومقومات "الذاتية الاجتماعية" ورصد سمات "الجماعة الاجتماعية". ويمكن حوصلة مختلف هذه المناهج والأساليب المعتمدة في دراسة الشخصية الجماعية مجدولا كما ضبطته نادية سالم في دراستها آنفة الذكر:

دراسة الخصائص الجماعية	المفاهيم المعتمدة	المتغيرات الأساسية	التركيز الرئيسي	طرق القياس
الاسلوب التحليلي	الشخصية: الشخصية النواة الشخصية الاجتماعية	الدوافع- انماط انماط للشخصية اتجاهات قيم ومعتقدات	الشخصية	-مقابلة حرة - استمارة - اختبارات لبعض سمات الشخصية -تحليل وثائق شخصية تكرارية اخصائية من افراد المجتمع (أ)+(ب)+(ج)
الاسلوب البنائي	البناء الاساسي للشخصية	نمط امثل للشخصية	الثقافة ودوره في الشخصيه	- ملاحظة السلوك - تحليل العبادات ملاحظة العلاقة بين الافراد (أ)+(ب)+(ج)
الاسلوب الكلي	- سمات الجماعة الاجتماعية معبرا عنها من خلال الانتاج (اللغة/الادب/ الفن/ الفلسفة) الوثائق السياسية	- اتجاهات - معتقدات - قيم - انماط تفكير	الثقافة	- تحليل مضمون الثقافة - تحليل اللغة - تحليل وثائق - تحليل الفن الشعبي - التحليل النفسي تحليل مضمون الناتج الادبي والثقافي والتحليل النفسي من خلال دراسة الامراض النفسية

٢,٣ - نقد المناهج النظرية في دراستها للشخصية العربية :

إن مختلف الدراسات التي أنجزت في سبر أغوار الشخصية القومية العربية والكشف عن العديد من جوانبها لا تنفك عن اعتماد الأساليب الثلاثة المذكورة على أن الدكتوراة نادية سالم لا تستبعد أن تشوبها جملة من المآخذ التي قد تذهب بجودها أو مصداقيتها أو اطلاقيتها أو موضوعيتها وتسجل تبعا لذلك تحفظاتها التالية:

- البعد الإقليمي لغالبية تلك الدراسات التي ركزت على دراسة السمات الخاصة بشعب ما من الشعوب العربية معزولا عن الشعب العربي ككل باعتباره تركيبة قومية واحدة.
- تعالي أدوات ووسائل البحث المعتمدة عن البيئة العربية ومقارعتها لخصائص الطبيعة والواقع العربي باعتبارها أدوات غريبة استنبطت لتبلي احتياجات البحث للشعوب العربية المتقدمة.
- تكريس مختلف البحوث المنجزة مظاهر الاختلاف بدل التركيز على عوامل الوحدة وهو ما قد يخدم التجزئة القائمة في الوطن العربي
- تعسف بعض نتائج تلك الدراسات التجريبية بنزوعها إلى التعميم والحال أنها أجريت على عينات معزولة أو محدودة إقليميا أو وطنيا فلا يعقل أن تسحب على الشخصية العربية بكليتها.
- تعتمد بعض تلك الدراسات عزل المواطن العربي عن سياقاته وظروف مجتمعه أو معيشه أو طبيعة نظامه الإقتصادي والسياسي والإجتماعي القائم باعتبار أن البحوث التجريبية تنطلق من موقف نظري يتبناه الباحث مسبقا في نظريته إلى الشخصية القومية العربية.
- الطابع الإطلاقي لنتائج تلك الدراسات الذي يميل إلى النظر إلى الشخصية في ضوء القوالب الجامدة، حيث تميل إلى الإطلاق التاريخي دون اعتبار عنصر النسبية التاريخية والظروف الإقتصادية والإجتماعية في التحليل.
- استخدام أسلوب التحليل النفسي أوقع تلك الدراسات في تعميمات خاصة بالمرضى النفسيين وقع سحب نتائجه على مجتمع بأسره، فلا يعقل وسم شعب بأسره انه مريض بالشيزوفرينيا أو بمركز نقص ما.
- الإنحيازية المفضوحة لبعض الدراسات ضد الشخصية العربية المتعمدة لوصف العرب بالعدوانية أو العاطفية أو الإنفعالية المفرطة... أو النتائج التي اعتبرت اللغة العربية لغة مبالغة فهذا تحيز ناجم عن إغفال حقيقة انه لا توجد لغة لها سمات مطلقة ودائمة، فالسمات تتعلق فقط بكيفية استخدامها بواسطة مجموعة بشرية معينة في إطار تاريخي محدد وبكيفية محددة فلا مشكلة في اللغة في حد ذاتها بل في درجة النضج العلمي والاجتماعي لمستخدمه.

٤ . مقارنة تطبيقية لدراسة الشخصية التونسية:

١,٤ - العوامل الحضارية المشكلة للشخصية التونسية:

اعتبارا للأسباب المتقدمة فان دراستنا للشخصية الاجتماعية التونسية والهوية الثقافية في تونس سوف لن نتعصب لمنهج ثابت في تحليلها او نلتزم أسلوبا بحثي محدد قدر اعتمادها على منهج الإستقراء التاريخي ورصد مقومات وخصائص الشخصية التونسية وملاحظها الاجرائية العامة بعيدا عن التعميم المتعسف بل من خلال التراكم التاريخي الذي تناولته البحث الإجتماعية والدراسات الثقافية التي تناولت بالدرس الثقافة والهوية والشخصية والفكر في تونس. وذلك من خلال تلقف بعض معالم الشخصية التونسية كما ارتاته بعض الدراسات الاجتماعية وفي سياقات المباحث الحضارية والمؤلفات الادبية والتاريخية وغيرها من رؤى المفكرين والمتقنين.

قبل الاسلام والحضور العربي بافريقية يمكن اعتبار الحضارتين القرطاجنية والحضارة الرومانية الأكثر تأثيرا في شخصية السكان الأصليين (البربر/ الأمازيغ) لكن كلتا هتين الحضارتين عاملت "أبناء البلاد" المحافظين على شخصيتهم الأمازيغية على اعتبارهم "غير مواطنين" بل كعبيد أفتان أو مسخرين كفلاحين في أراضيهم فرضت عليهم ضرائب سنوية مجحفة تتضاعف قيمتها زمن الحروب مما يولد ثورات متتالية، وحتى أولئك الذين تعاونوا مع سياسة هتين الحضارتين (بربر قرطاجوا او ترومنوا) فتشبهوا بهم وتعلموا لغاتهم ومارسوا الدعاية لقرطاج وروما لم يحظوا بالمواطنة الماملة على غرار (ابوليوس/ويوبا..)، هكذا يمثل الأثر الحضاري الاجتماعي أشكالا يتحدى قاعدة معروفة وهي أن الهجرة الخارجية تؤدي إلى التجانس أما الهجرة الداخلية فتؤدي إلى التنافر، لأن كل غزاة افريقية أو تونس أو كل من هاجروا إليها بقوا متنافرين مع أبناء البلاد ما داموا محافظين على "شخصيتهم الحضارية". "ولكن تصدق قاعدة أخرى وهي أن البلدان المنفتحة جغرافيا مثل "افريقية" المغربية بخصوبة أراضيها وامتداد حدودها البحرية سهولة الإستحواذ تجتذب الغزاة والمهاجرين والمغامرين لكنها تبقى عسوية يحتد فيها التنافر الجنسي "بل العكس من ذلك أيضا اعتبر العنصر الأجنبي الوافد، افريقية أرضه فاستوطنها وعاملها بخلفية الأجنبي المتفوق جنسا وعنصرا وحضارة وفضيلة (١٥٠٠ سنة) مكثها الغزاة الروم والقرطاجينيون قبلهم وغيرهم تكرست أسس مجتمعين متميزين : مجتمع أمازيغي أهلي مهمش ومطارد في الجبال والصحاري (مجتمع بدائي/societas). ومجتمع اجنبي في عمومته متعدد الأعراق "متآلف" (الأفارقة/الروم) يسكن المدن ويسيطر على الإقتصاد متواطئ مع الغزاة (مجتمع مدني/ civitas).

ولعل هذا الإنقسام وهذه التركيبية المتميزة أصلت لشخصية "افريقية" غير مستعدة لمقاومة الغازي الأجنبي مقاومة طويلة وعنيفة كما هو الحال بالنسبة للمغربيين الأوساط والأقصى الذين لا يكتفيان بالذود عن حياتهم بل يهبون للذود عن المغرب الأدنى كلما حدث زحف أجنبي، وحتى الإسلام لم يفلح في علاج هذه الظاهرة أو تغيير هذا الواقع اذ انحاز العرب تاريخيا للوافدين الأجانب، لذلك تكررت ثورات السكان الأصليين بتكرار الإستبداد والجور.. ويمكن اعتبار مقاومة كسيلة والكاھنة البربريين من قبيل ذلك. لكن بعد تأسيس القيروان توقفت مقاومة البربر للإسلام بل نبغ من البربر قادة وفتحون على غرار طارق بن زياد وتأسست دول مستقلة أو شبه مستقلة عن مركز الخلافة قامت على القاعدة البربرية على غرار الدولة الفاطمية.

ومن أهم أسباب هذا الإندماج إسلاما وتعريبا يعود الى عوامل أهمها :

- قيام دعوة الإسلام على السماحة والعدالة والمساواة والإيحاء ..
- العلاقة التاريخية بين البربر وحضارة وادي النيل باعتبارهم ينتمون والمصريين إلى مجموعة المحامين الشرقيين جنسا فضلا عن تشابه لغاتهم والعوامل الجغرافية والمناخية والحضارية حتى (البداوة)
- التوافد العربي على القيروان وترحال البربر إلى المشرق للنهل من علوم الدين واللغة (مثل أبو القاسم المالكي/وسحنون).
- إن الفتوحات والحضارة العربية الإسلامية أعادت لقسم كبير من البربر من داخل البلاد (سكان الجبال والأرياف والصحاري) ثقفتهم بأنفسهم من الغبن التاريخي على مدى (١٥٠٠ سنة) لذلك يمكن القول أن الإسلام تدارك النفس الافريقي قبل أن تنكسر نهائيا بفعل قهر الغزاة واستبدادهم.^{٢٧}

^{٢٧} - خوالدية (الضاوي): شخصية التونسي محمول الجغرافيا والتاريخ، مصدر سابق، ص (١٣-١٦)

على أن الدور العثماني التركي في تونس أعاد الذاكرة إلى مظاهر التعسف التي طوحت بسكان تونس الأصليين (حادثة عسكر زراوة/التصدي العنيف لانتفاضة على بن غذاهم وما خلفته من قمع دموي تجاوز ٢٠ ألف ضحية...) وغيرها من الأحداث التي روى بعضها ابن أبي الضياف في إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، من ذلك المعاملة التطبيقية والتمايز الإجتماعي، فقد انقسم المجتمع التونسي إلى طبقات متفاوتة:

- ١- أعيان المخزن أصيلو مناطق داخل الإيالة (أغلبهم من البدو) ذوي البطش والغلظة سلطتهم البايات على سكان الأرياف التونسي وصحاريه أمثال "اللزامة" وقادة الميليشيات العسكرية والصباحية وبعض الكتاب والقادة الذين نكّلوا بالتونسيين.
- ٢- البلدية (سكن مدينة تونس القدامى/ تدفقوا على تونس من الأقطار العربية والأجنبية) وهم يقدمون أنفسهم على أنهم صفوة المجتمع "التونسي الأهلي مثل (آل بن عاشور/ والثعالبي/ والبارودي/ والرصاص/ والبكري/ والدرناوي/ ومحسن...) وقد افتك الأتراك منهم هذه المنزلة فتدحرجوا إلى الطبقة الثانية.
- ٣- ويلبهم سكان الإيالة الآخرون الذين يعتنون من قبل البلدية "بالبرانية" أي الأفقيين الذين يمنع سكانهم بالمدن (داخل الأسوار) ويحرم الزواج منهم أو سفر النساء إلى مناطقهم.^{٢٨} ولكن مع استيلاء الأتراك الحنّاف على البلاد حتى تولى الخطط العلمية والدينية والإدارية عائلات تركية سليلة الأسر التركية الأولى المحتلة لتونس، مما اضطر العائلات المالكية العالمية تحترف

حرفا تقليدية أخرى والتجارة تعويضا على العلم مثل أسرتي النيفر وابن عاشور...

وقد حاول أحمد باي نتيجة للضغوط والتحولات الإجتماعية والسياسية والإقتصادية في القرن التاسع عشر (ق ١٩) أن يساوي بين علماء^{٢٩} المذهبين الحنفي والمالكي في المرتبات والتعيينات الجديدة في العام (١٢٢٥ هـ / ١٨٤٢ م).

إن الظلم السياسي والحيث الإجتماعي والتهميش الثقافي والإستهداف الاقتصادي... عوامل تضافرت لتحطيم الشخصية التونسية وتفتيت هويتها الثقافية وكسر نفسياتها كسرا لاحظته رحالة ألماني فصرح قائلا : "إن الجرائم والمآسي التي تعرض إليها هذا الشعب طيلة تاريخه، وخاصة في العهد التركي الحسيني، قد خلفت في طباعه آثارا سيئة من شأنها أن تطمس فيه مشاعر الشرف وتخد فيه مفاهيم الولاء والإخلاص.. إن الإستبداد يبطل الشعور بالطمأنينة ويؤدي إلى الكسل الفطري الذي يتميز به أهل هذه البلاد". ثم استحضّر المراحل الكبرى لتاريخ تونس خاتما بـ"لا يسعنا عقب هذه الورقة التأملية إلا أن نتساءل عن العبرة من كل هذه الأحداث وعن الشر في ابتلاء هذا القطر بمصائب ورزايا متتالية لنجده في آخر المطاف يزل في هوية الهمجية الراجية ويرسخ فيها، فأى لعنة يا ترى حنمت هذا المصير القاسي"^{٣٠}.

وقد استمر هذا النهج التعسفي في ما عرف بالحماية الفرنسية مع شئ من تبادل الأدوار حيث احتل الفرنسيون المحتلون المنزلة الأولى في المجتمع والسلطة والإقتصاد والإدارة والفلاحة حيث وضع المعمرون أيديهم على أخصب الأراضي يليهم الأتراك والمماليك والمخازنية وأعاونهم الذين تمسكوا بوظائفهم وازدادوا مع ذلك شراسة وفتكا بالأهالي إرضاء لحمايتهم الفرنسيين،

^{٢٨}- خوالدية (الضاوي): الدوات والأسرة التونسية في القرن التاسع عشر، مطبعة(JMS)، (دت) ص(٦٨-٦٩).

^{٢٩}- ابن أبي الضياف(أحمد)، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الدار التونسية للنشر تونس (١٩٨٩) ج (٤) ص (٧٣-٧٦)
^{٣٠}- Pellissier, description de la régence de Tunis, 2 ect, Bouslama, Tunis, 1980 p(330-333).

ويُلخص المؤرخ الفرنسي شار أندريه المخرّب العربي حالة تونس والتونسيين فيها في مطلع القرن العشرين (ق ٢٠) "الإيالة التونسية يفترش الفلاحون فيها الأرض، ويخربشون أديمها بمحاريث خشبية ولا تتجاوز كنوزهم بعض الخرقان، ورغم ذلك يدفعون الأداء الفردي (ضريبة)... ويقتاتون غالبا بالخبيزة ويسمون من قبل الفرنسيين "بيكو" (Bicot) احتقارا، ويحرمون من التعليم العصري لأنه يزيدهم حقدا على الفرنسيين".^{٣١} ثم نقل رأي بعض المسؤولين الفرنسيين في التونسيين "هم لا يهابون إلا القوة من دون إعتبار للقانون وللعدالة وهم أذلاء أمام الأقوياء وقحون أمام الضعفاء... فدعوني أضحك.... فمتى وجد أهلي إنساني."^{٣٢}

هذه النظرة الدونية المهينة للشخصية التونسية من قبل الآخر الأجنبي أسست عمليا إلى ردود فعل مقابلة ومضادة ومتوجسة من الآخر حتى وإن كان أخيه التونسي، كما ذهب إلى ذلك الأستاذ الدكتور محمود الزوادي الذي رصد سلوكيات التونسي العادي اعتمادا على ملاحظاته الميدانية أثناء احتكاكه بالتونسي "الآخر" فتجلى له أنّ تفاعل التونسي مع التونسي الآخر* يغلب عليه التوجس والخوف والإرتياب والاستنفار، وعليه يجوز وصف شخصية التونسي في ظروف تفاعله هذا بأنها "شخصية مستنفرة**"^{٣٣}، وهذا سلوك يتعارض مع ما يشاع عن أن التونسي مودودي ولطيف وحفي الآخر الأجنبي أو ما يعرف بالأغيار.^{٣٤} كما سنعرض له في عوامل تشكل الصورة السلبية للشخصية التونسية.

٢،٤ - تشكلات تاريخية للصورة السلبية للشخصية التونسية:

ان الشخصية نظام سلوكي ونظام ذهني والنظامان متداخلان متكاملان ينشان بالتدرّج نتيجة لعوامل الجغرافيا والزمان والتربية... فيشكلان الشخصية الفردية كما يشكلان السمات الأساسية المشتركة للشخصية الجماعية أو الوطنية أو القمية، والسمات المشتركة التي ترسم ملامح شعب ليست وليدة الحاضر ولن تكون انما هي وليدة الماضي اي عشرات القرون السابقة بما فيها من رفاهية او بؤس او عدل او تعسف او علم او جهل او هزات او استقرار او خصوبة ارض او فقرها او مجاب عادية او مشط او حرية او عبودية او نقاوة جنس او اخلاط... ولعل هذه الثنائيات المذكورة هي البانية للشخصية الجماعية فاذا سادت السلبية كانت الشخصية في عمومها سلبية، واذا سادت الايجابيات كان الشخصية في عمومها ايجابية.

١،٢،٤ - أبعاد ورؤى حول الشخصية التونسية السلبية :

لعل التحليل التاريخي يحيلنا إلى عديد المكونات السلبية لشخصية التونسي فيما يراه الدكتور الضاوي خوالدية في دراسته للشخصية التونسية المشكلة^{٣٥} وذلك من خلال استعراضه لحوادث تاريخية بعينها ورؤى بعض الشخصيات التاريخية ورؤاها الذاتية لحقيقة التونسي، ومن أهمها:

³¹ -Dr. L.Frank et J.J. Marcel : Histoire de Tunis, 2éd. Bouslama Tunis, p (100-104).

³² - شارل اندريه جوليان، المعمرون الفرنسيون وركة الشباب التونسي، تعريب محمد مزالي والبشير سلامة، الشركة التونسية للتوزيع (د ت) ص (٢١).
*تعني كلمة "الآخر" في هذا تناول الغريب أو (البراني) بتعبير اللهجة التونسية العامة.

³³ -د. خوالدية (الضاوي)، شخصية التونسي، مصدر سابق ص (٢٢).

³⁴ - الزوادي (محمود)، الوجه الآخر للمجتمع التونسي، عبر الزمان، تونس ٢٠٠٦. ص (٦٥).
** تستخدم كلمة "المستفزة" في هذا الطر كترديد للمتخوفة والمتوجسة والمرتابة.

³⁵ - خوالدية (الضاوي) : شخصية التونسي محصول الجغرافيا والتاريخي مصدر سابق ص (٢٨).

- رؤية بن خلدون السلبية لشخصية التونسي، وهو تونسي الأصل ولادة ومنشأ وتعلما وخلفية ثقافية، وهي عوامل لم تمنعه من وصف التونسي بـ"القهر الباطش، والتتقيب في عورات الناس وتعدد ذنوبهم يؤدي الى التطبع بالكذب والمكر والخديعة وفساد البصائر والأخلاق".^{٣٦}
- مضمون رسالة الخليفة عمر بن الخطاب الى عمر بن العاص المانعة من فتح افريقية الواصفة لاهلها بـ"الغدر وافتراق الكلمة".^{٣٧}
- تعدد محمد ببرم الخامس الطباع السلبية لتونسي من قبيل نعتته بـ: "عدم الانقياد لآخيه التونسي والانقياد للاجنبي والميل المفرط لخويصة النفس".^{٣٨}
- توجه المستشرق لويس فرانك Louis Frank الذي عاش في تونس طويلا وخلط طباع نماج مختلفة من البدو الوحضر التونسيين لتعدد خصال سلبية وجارحة للشخصية التونسية بوصفها بثمان نعوت حاصلها (البخل/والجشع/ والحقذ/ والبعوض/ والانانية/ والادمان على المسكرات بكل انواعها/ والشذوذ الجنسي/ والغش/ والكتمان المفرط على ما يملك / وعدم الوفاء بالوعد).^{٣٩}
- تعدد المستشرق بيليسيه (E. Pellissier) صفات مستهجنة عن التونسيين بمختلف انتماءاتهم الاجتماعية والطبقية ناجمة عن مخالطته لهم فقد لقت انتباهه في هذا السياق : (ضعف وفقدان الحيوية لدى حضر تونس/ قوة وحيوية لدى البدو في تونس/ ذكاء في البوادي وغباء في المدن /عدم ايلاء العفة في تونس العاصمة ساردا حكايات غريبة في هذا الصدد).^{٤٠}
- تطابق ملاحظات الامير الرحالة الالماني سميلاسو بعد زيارته الى الايالة التونسية في العام ١٨٣٥ مع ملاحظات سابقه مرجعا اسباب سلبية طباع الشخصية التونسية الى الطغيان والعنف حيث قال : "ان الجرائم المرتكبة في حق الشعب التونسي قد خلقت في طباعه اثارا سيئة من شأنها ان تطمس فيه مشاعر الشرف وتخدم فيه مفاهيم الولاء وابطلت لديه الشعور بالطمأنينة وطبعته بكسل فطري".^{٤١}
- تأكيد ما نقله المستشرقون الغربيون الثلاثة السابقين من مواقف ازاء الشخصية التونسية من قبل اعلام من المتقنين والمصلحين والمفكرين التونسيين المنتمين الى فترات مختلفة من تاريخ تونس الحديث
- على غرار الطاهر الحداد ومحمد الهادي بن القاضي وخاصة هشام جعيط الذي عرض ثلاث سمات سلبية للشخصية التونسية وهي : (انتشار ظاهرة اللواط/ علاقات العداء بين التونسيين وبين الاخ واخيه : من عنف وحقذ وحسد وضغائن واستهزاء وشائعات واستنقاصية / والاعتقاد في السحر وممارسته).^{٤٢}

^{٣٦} - ابن خلدون (عبد الرحمان) : المقدمة، مكتبة المثنى، بغداد (د ت) ص (١٨٨).

^{٣٧} - ابن خلدون (عبد الرحمان): المقدمة، مصدر سابق ص (١٤٢).

^{٣٨} - ببرم الخامس(محمد): الفطر التونسي في صفة الاعتبارن تحقيق علي الشنوفي، بيت الحكمة، تونس (١٩٨٩) ص(٦٢-٦٣).

^{٣٩} -Dr. Luis Frank, et J.J.Marcel.Histoire de Tunis, 2émeéd, Bouslama Tunis P(100.102.103.104.330).

^{٤٠} - E.Pellissier, Description de la regence de Tunis, 2eme ed, E. Bouslama .Tunis (1980), P (330.331.332.338).

^{٤١} - بوكليز موسكاو، سيسلاسو في إفريقيا (رحلة أمير ألماني إلى الإيالة التونسية ١٨٣٥م) عربي منير الفندري، بيت الحكمة، تونس (١٩٨٩)، ص (٨٨،١٠١).

^{٤٢} - جعيط (هشام)، الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي، دار الطليعة ط (١) بيروت، (١٩٨٤) ص (٨٤ . ٩٢ . ١٦٨).

٢,٢,٤ - المسوغات التاريخية للشخصية التونسية السلبية:

- وعموما تؤكد مختلف هذه المواصفات للشخصية التونسية وسماتها النفسية وتجليتها السلوكية ذات الطابع السلبي على عدم قدرة التونسي على التعاون والتكاتف مع أخيه التونسي وحالة التنافر المانعة لأي دور للتونسي في عمل جماعي التونسي - التونسي وهو ما أطلق عليه الأستاذ محمود الزواوي "الشخصية المستنفرة" ومن أهم مظاهرها في التاريخ التونسي :
- حالة الصراع بين علماء الدين والفقهاء والمتكلمين المتأسس على الخلافات المذهبية والتحاسد والشائيات، مثل محنة المؤرخ ابن خلدون مع الفقيه المالكي ابن عرفة / أو الخلافات الحاصلة بين الفقهاء المالكية والأحناف.
- انتفاضة علي بن غزاهم وما تسببت فيه من تهديد حكم البايات وما أعقبها من خيانات وتحول ولايات بعض قادتها إلى المخزن (السلطة) فكانت نهايتها المأسوية من مذابح وتكفير بالأهالي).
- موقف الحزب الحر الدستوري السليبي من حركة محمد علي الحامي النقابية والاجتماعية بلغ حد الإستقواء بالسلطة الإستعمارية والتأمر على إجهاضها في مهدها.
- سحب الزعيم الحبيب بورقيبة البساط من الشيخ عبد العزيز الثعالبي وصحبه من مؤسسي الحزب الدستوري الذي وصف بالقديم بعد انعقاد مؤتمر قصر هلال سنة ١٩٣٤ .
- استقواء الزعيم بورقيبة ورفاقه بفرنسا لمقاومة صالح بن يوسف ذي التوجهات العربية. انتهت أطواره بتصفية بن يوسف جسديا وملاحقة أتباعه فيما عرف عند بورقيبة بالفتنة اليوسفية.

٣,٤ - الشخصية التونسية بين الإنية والآخرية:

- في ضوء ما تقدم تنسج الشخصية التونسية لنفسها صورة متضخمة تعكس نرجسية ذاتية وأنانية فردية سرعان ما جرت به إلى بناء مواقف كبريائية وعداوية من الآخر القريب (ابن جلدته وأخوه التونسي عموما)، واتخاذ موقف مضاد لذلك من الآخر الأجنبي إذ يكون فيها التونسي أكثر مودودية ولطفا وقربا منه وكان من نتائج هذا السلوك المتناقض:
- محدودية انتشار التونسيين واشتهارهم من فنون واختصاصات برعوا فيها وتفوقوا في إبداعاتهم وما أغرقهم في محلية اقليمية ضيقة مهما علا شأنهم في العلم والفكر والثقافة والأدب أمثال (ابن خلدون/ ابن عرفة/ محمد الأخضر بن حسين / أبو القاسم الشابي/ الطاهر الحداد/ عبد العزيز الثعالبي...)
- تمثل التونسي بصفات "القنوع، الراضي بالموجود" النافر من المغامرة غير الحالم بالمجد والتميز/ المعلي لصوت "أناه" فوق كل الإعتبارات بما فيها الوطن / المختزل لوطنه في مدينته/ المعتبر لمن هو خارج المدينة براني وأفاقي...^{٤٣}
- عقدة الأجنبي عند التونسي المتمثلة في احترام وتبجيل ومساعدة الأغيار الوافدين الأجانب وقد بلغت ذروتها عندهم تقديس الأولياء وأصحاب الزوايا الذين لولا أصولهم الأجنبية الحقيقية أو المزيفة والمفتعلة لما قدسوا في تونس ولما اتبعوا ولما أسموا أبناء على أسمائهم.^{٤٤}
- انصياع وخضوع التونسي للحكام الأجانب للبلاد التونسية في مختلف أحقاب التاريخ من قرطاج إلى فرنسا تحت نفس مسوغات العقدة من الأجنبي الناتجة للسياسات الترهيبية لأولئك الحكام وبطشهم بأهل تونس على أن إنبهار الرحالة العرب القدامى بالشخصية التونسية الودودة الطيبة الهشة الباشة إنما هي شخصية مدخرة للوافد "المخيف" فقط.

^{٤٣} - الحداد (الطاهر) ، العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية ، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس (١٩٨٧) ص (٢٣-٢٤).

^{٤٤} - د. خوالدية (الضاي)، الذوات والاسر التونسية في القرن التاسع عشر مطبعة (JMS) توني (د ت) ص (١١٠) .

- الكراهية الدائمة للحكام الاجانب لرعاياهم التونسيين مع الحرص على عدم الاحتكاك بهم او الاندماج معهم مهما طال استقراره بتونس واحتقارهم للشخصية التونسية (العربي خذ ماله واقطع راسه/التونسي لا يصلح للحكم/اولاد تونس زقايط لا يصلحون لشيء).

- انبهار التونسي بالآخر في رموزه وأشكاله إلى غاية تبديل اللباس وتقليد الآخر مظهرًا. فكلمًا رأى "جديدًا" لدى الأجانب قُدّه مما حدى بأحد الكتاب أن علق على هذا السلوك مستهجنًا "قد أبدلوا أزياءهم البهيجة بملابس قبيحة تخلط بين الطراز التركي والطراز الاوروبي".^{٤٥}

- تميز التونسي عن سائر سكان المشرق والمغرب العربيين بقدرة عجيبة على نطق اللغات الغربية واللهجات، والسبب هو مدنيته وتعدد الأصول والجنود التونسية نتيجة التعاقب الحضاري على تونس بفعل الحراك التاريخي الذي عاشته البلاد التونسية في مختلف أحقاب التاريخ التونسي.^{٤٦}

هذا التعظيم للاخر "الاجنبي" والتوجس من الاخر "الاخ التونسي" يطرح تقطع الشخصية التونسية بين اعلانها الذات المتضخمة والتناقض الحاصل بين

سلوكاتها الحميمة للآخر الأبعد (الأجنبي) والإرتيابية من "الأخر الأقرب" (ابن البلد) وهو ما يوقع الشخصية التونسية في صراع مع احتياجات هويتها الذاتية ومقتضيات "هويتها الجماعية"، وهذا مبرر للبحث عن معالم الشخصية القاعدية المستنفرة كما شخصها الاستاذ الدكتور محمود الزواوي.

٤,٤ - مقارنة سوسيوولوجية لصورة الشخصية التونسية القاعدية "المستنفرة":

بين ثنايا الدراسات السوسيوولوجية التونسية المتناولة للشخصية التونسية يستحوذ على اهتمامك طرح تعريف لمواصفات الشخصية التونسية القاعدية المستنفرة وسماتها الغالبة، كما تناوله الدكتور محمود الزواوي في كتابه الموسوم "بالوجه الآخر للمجتمع التونسي الحديث" الذي خصه لدراسة الظواهر الحفية والظواهر المنكشفة والظواهر التي يمارسها الأغلبية الأمر الذي يجعلها عادات اجتماعية شائكة لا يكاد معظم المواطنين التونسيين يسعى إلى إثارة التساؤل حولها ناهيك عن محاولة فهمها وتفسيرها.^{٤٧}

١,٤,٤ - في مفهوم الشخصية القاعدية:

يؤكد علماء الاجتماع والنفس المحدثون على الطبيعة المعقدة لظاهرة الشخصية القاعدية، وهي تتطلب جهودًا مكثفة ومتواصلة لسبر أغوارها، وهو ذات العائق الذي تصرح به الدراسات في العلوم الاجتماعية والسلوكية والأنثروبولوجيا حول الشخصية الفردية والجماعية. إذ هناك اتفاق بين علماء النفس والاجتماع والأنثروبولوجيا بأنه يوجد في كل مجتمع بشري عدد من السلوكيات المتنوعة، سواء على مستوى الجماعات، ورغم الاختلاف والتعدد في السلوك فإنه يمكن إرجاع الكثير من تلك السلوكيات إلى بنية المجتمع وإلى نمط تركيبة الشخصية القاعدية السائدة في هذا المجتمع. من هذا المنطلق لجأ علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع والنفس في دراساتهم للسلوك الفردي والجمعي إلى استعمال ما يطلق عليه في العلوم الاجتماعية الحديثة بـ"الشخصية القاعدية" أو "الطابع القومي". ويشمل كل منهما "السمات الرئيسية المشتركة بين أفراد مجتمع معين على مستوى المواقف والعقليات والسلوكيات".

^{٤٥} - سميلو سو في إفريقيا (مصدر سابق) ص (٦٩).

^{٤٦} L. Frank, Histoire de Tunis, ibid, P (99).

^{٤٧} - أ. د. الزواوي (محمود)، الوجه الآخر للمجتمع التونسي، مصدر سابق ص (١١).

وقد عرف مفهوم الشخصية القاعدية بداية علم الأنثروبولوجيا الثقافية الأمريكية التي ركزت دراساتها في المجتمعات التقليدية. ومفهوم الشخصية القاعدية كان أساسا حصيلة لملاحظتين رئيسيتين :

أ- يتصف الأفراد الذين ينتمون إلى خلفية ثقافية واحدة بانماط شخصيات تختلف عن هؤلاء الافراد المنحدرين من خلفية ثقافية مختلفة.

ب- تكون للأفراد الذين يشتركون في ثقافة معينة سمات خاصة ومشاركة في شخصيتهم القاعدية.

ويرى الباحثون أن أصول تكوين الشخصية القاعدية تتأثر في المجتمعات الحديثة المدروسة بكل من أنماط التنشئة الإجتماعية من جهة، والبنى الإجتماعية والإقتصادية السائدة بالمجتمع من جهة ثانية. ويعتبر عالم النفس الأمريكي ديفيد ماكلاين أن هناك دورا هاما للتنشئة الإجتماعية في تشكيل الشخصية الأساسية الأمريكية المركزة على قيم الإنجاز و"الإعتماد على النفس". ومن ناحية أخرى لا يخفى أن البنى الإجتماعية والإقتصادية الأمريكية الرأسمالية ساعدت هي الأخرى على طبع الشخصية القاعدية الأمريكية باسم "الفردية" المتصلبة. ويذهب عالم الإجتماع دنيه ريسمن أنه من الصفات الرئيسية للفرد الأمريكي "الإفتتاح على الآخرين" فهو لطيف أكثر مع الأوروبي من جاره الكندي مثلا، وذلك يعود في الغالب إلى أن المجتمع الأمريكي مكون في الغالب من المهاجرين.

وتبرز أهمية دراسة الشخصية القاعدية في مساهمتها عمليا في معرفة السمات الرئيسية للشخصية القاعدية وفهم عديد السلوكات الفردية والجماعية بالمجتمع وتفسيرها، فضلا عن المردودية الزمنية لمصطلح الشخصية القاعدية باعتبارها تمثل الواقع المجتمعي الكبير في صورة مصغرة، وبالتالي اللجوء الى تعميمها على المجتمع الكبير وما يتطلبها البحث الاجتماعي والنفسي والأنثروبولوجي من زمن طويل.

ومن هذا المنطلق يستعمل الدكتور محمود الذواي مفهوم الشخصية القاعدية لدراسة بعض الظواهر السلوكية والممارسات الإجتماعية السائدة في المجتمع التونسي باعتبارها إفرزات تاريخية تراكمية وارتدادات نفسية وانعكاسات تنشوية مؤصلة للشخصية الأساسية السائدة في المجتمع التونسي ومجسدة في سلوكاته الفردية والممارسات الجماعية.

٢,٤,٤ – معالم الشخصية القاعدية التونسية المستفردة :

١,٢,٤,٤ – ظاهرة العنف اللفظي والجسدي :

يذكر الدكتور الذواي أن المجتمع التونسي يتصف بظاهرة متنوعة وتعدد السلوكات العنيفة والعوانية بين التونسيين أنفسهم لأتفه الأسباب أحيانا، خاصة لى التونسي الذكر المشهود له ببذاته وخطاب السب والشتم والقذف واللعن وما يسمى في الأمية التونسية "السفاهة" أي قبيح الكلام ذي الإيحاءات الجنسية وغيرها من الكلام النابي والبذيء والمستهجن مما يتراسق به التونسيون منذ سن مبكرة.

ولا يستبعد انخراط الأنثى التونسية في استعمال العنف اللفظي الذي يغلب عليه استعمال "الدعاء" أي "الدعاء بالشر وإصابة المكروه على الآخر" وإن كان غالبا ما يكون عنف "الدعاء" خال من "السفاهة" أو "القباحة" أو "السفاهة" أي الكلام المشحون جنسيا، فهو خطاب فيه تضرع الى الله، أو توسل إلى الأولياء لمعاقبة الآخر وإصابته بالمكروه أو لويل والثبور والهلاك... وهو ما يعكس حالة العجز الماثلة في المرأة "الدعائية" (التي تستعمل للدعاء) وذلك بفعل انتمائها الإجتماعي من جهة أن أكثر النساء الدعاة هن من غير المتعلمات أو من القابعات في بيوتهن ومن المنقطعات عن التعليم وغالبا ما تنتمي هؤلاء النسوة إلى أوساط شعبية محدودة ماديا.

أما المظهر الثالث من مظاهر العنف فهو ظاهرة "العراك" الذي يعني الخصام اللفظي والإلتحام الجسدي بين المتخاصمين والتنازع بالأيدي. وهذه ظاهرة مميزة للأسواق والشوارع والملاعب وفضاءات الترفيه والمقاهي التونسية، كردود فعل انفعالية تعالج الأنفة الزائدة لدى الشخصية التونسية المتوترة من الآخر والمستنفرة منه.^{٤٨}

٢،٤،٤،٢ - ظاهرة المحسوبية الإدارية:

يستنفر التونسي كثيرا من سلوكات الشخصية القاعدية للاداري التونسي، فالتونسيون يطنبون في التشكي والتظلم من ممارسات الموظف الاري التونسي وسوء استقباله، وعباراته الشديدة والامرة فيما يراه البع استغلالا كنفوذ تؤكد العبارة الدارجة (عربي واعطاه الباي حسان) فصورة الموظف الاداري التونسي ذي المحيا الفاتر والوجه الكالح والجبين المقطب... صورته نمطية دارجة في ذهنية التونسي المتاطي مع الادارة التونسية لقضاء شأن ما... فيما يعتقد انه استغلال للنفوذ خاصة من الاداريين المحنكين مباشرة بالمواطن التونسي ولسيما شخصية الحاجب(الشاوش) فالادارة التونسية كما تسمى ادارة حجاب وهم موظفون من الرتبة الاخيرة في السلم الاداري ولكنهم باتوا سلطة مستنفذة تجب الموظف المسؤول عن المواطن اذ يستقبل الحاجب(الشاوش) قاصدين بعبارات (اش تحب/ اش بيك..) ويودعه على عبارة (ارجع غدوة/ المسؤول لاهي/ في اجتماع...)

وان مثل هذا السلوك يقترن بتوتر مشحون في نفسية الشخصية الإدارية القاعدية التونسية التي ينقصها حافز التحمس لمعاملة الآخر التونسي باحترام ووظيفية.. ومثل هذا السلوك يؤكد مقولة "الشخصية التونسية المستنفرة" سابق الذكر.^{٤٩} ومما يعزز مصداقية هذه المقولة (تعامل التونسي مع "الآخر" التونسي المتمس بالجفاء والحذر والتوتر) هو وجود تعامل معاكس عندما يصبح "الآخر" معرفة أي أنه تربطهما علاقات دم أو زمالة أو جيرة أو صداقة... حيث تتبدل العلاقات ويصبح التواصل حيويا وودي (المصافحة،الابتسام،العريضة،تبادل القبل،الممازحة...) حينها تقضي الحاجات وتذلل العقبات ويصير ما لا يصير أي يصبح المستحيل ممكنا.. فجنود تفتشي ظاهرة "الوساطة" والـ"كتاف" و"متاعنا" في بنية المجتمع التونسي لا بد أن يعود في جوانب منها على الأقل إلى ظاهرة الإستنفار والتوجس والخوف والحذر من الآخر (الغريب/البراني) وهذا ما يبرر لجوء التونسيين إلى البحث عن (شكون عنا في الإدارة كذا..) للتدخل لصالحهم وقضاء حاجاتهم وفض مشاكلهم.^{٥٠}

٣،٢،٤،٤ - ظاهرة "الدّزان" أو (التدافع) بالمجتمع التونسي:

الظاهرة الثالثة التي يتناولها الدكتور محمود الزواوي وهي اهدى الظواهر المنتشرة في سلوك المجتمع التونسي المعروفة "بالدزان" اي لجوء الافراد التونسيين الى سلوك (التدافع) في مواقف الاكتظاظ وغيرها..وقد ادت احدى مناسبات "الدزان" أو التدافع الى نتائج مأساوية قاتلة حولت مسرح حفل نجوم ستار اكاديمي بمدينة صفاقس إلى فضاء موت لعدد من جمهور ذلك الحفل.^{٥١}

^{٤٨}- المصدر السابق، ص (٧٠-٧١).

^{٤٩}- المصدر السابق، ص (٧٢-٧٣-٧٤).

^{٥٠}- الزواوي (محمود) مصدر سابق ص (١٧٦-١٧٧-١٧٨).

^{٥١}- انظر مقالنا الصادر بجريدة الشعب التونسية العدد (٩١٧) "حادثة حفل ستار أكاديمي صفاقس : حادثة تدافع أم اندفاعية شباب ؟" بتاريخ ١٢ ماي ٢٠٠٧ والمبثوث على مواقع مختلفة بشبكة الانترنت.

وهذه الظاهرة مشهودة خاصة في محطات وسائل النقل العمومي المشترك وفي الفضاءات ادارية (مراكز الاستخلاص، مراكز البريد والبنوك..). وللمراكز التجارية والأسواق والمؤسسات التربوية والمؤسسات الترفيهية... بل وحتى بين المشاة أنفسهم في الشوارع. والباحث الاجتماعي لا يقبل ولا يقنع بالمواقف والأحكام الشخصية التي تردّها إلى انعدام الأخلاق أو فقدان الشعور باحترام الآخر أو التهور والتخلف وغيرها من الأحكام، ويبقى التفسير السابق (أي الاستنفار) وهو المعيار المقدر لتشخيص هذه الظاهرة، المبنية في وجه منها على الحذر والتوجس والخوف والتفاعل المتوتر مع الآخر التونسي المتصفة به الشخصية القاعدية التونسية، فهو وضع ناجم مثلا في مواقف الحافلات الى اجتماع التونسي مع التونسي الآخر (الغريب/البراني) في مكان واحد وهو باعث توتر وتوجس كما أسلفنا، كما أن هذا التوتر تفرزه طبيعة المجتمع التي لا تخلو تركيبته وظروفه من ملامح التناقض المؤدية قطعا الى مواقف ارباكية وفوضوية وعشوائية... في حين أن ظاهرة الاصطفاف في المجتمعات الغربية والمجتمع الكندي نموذجا في مختلف الفضاءات الجماهيرية هي ممارسة حضارية وعملية تنهي حالة الخوف والضيق والتوتر التي تسود بين الغرباء، وتحقق الاحترام والمساواة ويعني الاصطفاف عقلية الاحساس بالتعاطف مع الغريب/البراني^{٥٢}

ومن خلال رصده لهذه الظواهر الثلاث (العنف/المحسوبية/التدافع) وتحليلها وتفسيرها يستنتج الأستاذ محمود الذوايدي ان "الشخصية التونسية القاعدية كما راينا هي شخصية مستنفرة، وبالتالي فتعاملها مع "الآخر" (البراني) بهدوء ولطف ولباقة غير منتظر في غالب الاحيان. فالفرد التونسي على هذا المستوى لا تزال تفصل بينه وبين روح الحداثة والتمدن في التعامل مع "الآخر" "القريب" "فجوة" غير هينة."

ان مفهوم الاستنفار في الشخصية القاعدية للتونسية يصلح في نظر الدكتور الذوايدي لالقاء الوء على عدد من السلوكات التي تقع بين التونسيين كغرباء بيزانيين. فالتونسي لا يقدم نفسه بطريقة تلقائية الى التونسي "الآخر" عند لقائه به اذ يمكن للتونسي ان يخوض في حديث مطول مع الآخر التونسي دون سؤاله عن اسمه او وضعه الاجتماعي... "فالاستنفار من الآخر لا يشجع على القيام بمبادرة حب التعرف على هذا الآخر، وهذا عكس ما يقع في المجتمع الامريكي الذي يتوفر فيه عادة تعارف الاشخاص الغرباء على نطاق واسع، فاذا وقع لقاء بين ثلاثة افراد يعرف احدهما بالاثنين الاخرين ويقدم الثالث نفسه^{٥٣} ويفسر الأستاذ الذوايدي هذه الظاهرة سوسولوجيا باعتماد "عامل الخصوصية" عند برسنز باعتباره كفيلا لتفسير الاستنفار حيث يغلب لى التونسي المثالي (بالمفهوم الغيبري) شيء من عدم الراحة اثناء اللحظات والدقائق الاولى على الاقل من تفاعله مع التونسي (البراني/ الآخر) وبعبارة اخرى فانه يكون كذلك في تفاعله مع التونسي "الآخر" الذي تربطه به علاقات ثانوية/علاقات الغربية (٢) ^{٥٤} على أن إجراء مقارنة طفيفة بين المجتمع التونسي والمجتمعات المشرقية

^{٥٢}- الذوايدي (محمود)، المصدر السابق ص (٧٧).

^{٥٣}- (١) المصدر السابق ص (٨٠).

^{٥٤}- المصدر السابق ص (٨١).

العربية تؤكد في نظر الطوادي وجود علاقة استنفار بين المشرقي والآخر المشرقي. إلا أنه حسب زعمه تبدو علاقة الاستنفار أقل حدة من استنفار التونسي من التونسي الآخر. وهذا الفرق يحتاج طبعاً إلى تفسير يكشف عن الجذور التاريخية والاجتماعية التي عملت لتعميق شدة الاستنفار التي تتصف بها علاقات التفاعل التونسي التونسي.^{٥٥}

٤- الشخصية التونسية في بينتها الثقافية :

إن الشخصية التونسية بمواصفات الاستنفار متقدم الذكر إنما هي إفران لبيئة ثقافية تونسية لا يخضع تحديدها لمؤشرات الانثروبولوجيا العنصرية. إن الخرائط المعتمدة في الانثروبولوجيا الثقافية التقليدية لا تفسح مكاناً لآلية بيئة ثقافية (عربية). أي حضارية المحتوى، وإنما هي تجمع ما يسمى خطأ بالعالم الثلاث في مناطق غير حضرية. وتحصرهما في استبيان المدلولات السلالية العرفية لتبرهن على اتساع الفجوة بين المجتمعات البدائية أو البدوية في بعض الأدبيات الغربية التي لا تصلح أن تكون بيانات ثقافية بالمعنى السوسولوجي، وبين المتمعات الحرة (المتحضرة) بحكم الدغرافيا الطبيعية والجغرافيا البشرية.

إننا لا نصادر جملة وتفصيلاً ولا على نحو مطلق، مقدمات ونتائج الانثروبولوجيا الثقافية الاجتماعية. ولكننا نتحفظ وإياناً نرفض تعميم بعض التجارب والخبرات المتصلة بجزئيات منهجية أكثر من ارتباطها بقوانين عامة. لذلك يعتقد غالي شكري في مؤلفه "الثقافة العربية في تونس" أن تكوين البيئة الثقافية في تونس تتوفر له مكونات أساسية ومقومات عامة، قد لا تناظرها أية بيئة أخرى في خرائط الانثروبولوجيا الغربية وجداولها الانثولوجية "إننا هنا وفي إطار التفاعل الجدي بين العام والخاص قد رصدنا مجموعة من المؤشرات على علاقة المواطن التونسي بالثقافة كإنتاج واستهلاك ومعيش وعلاقة هذه الثقافة بالتطور الاجتماعي ومن ثم فإننا ننتبين:

- ١- إن نسبة التكوين الحضري في المجتمع التونسي كافية عملياً لخلق الاحتياجات الثقافية للفرد والجماعة. ولا تكمن مؤشرات هذا التكوين في الهجرة المتزايدة من الريف إلى المدينة، وإنما في اتساع رقعة التعليم والصحة على حساب الأمية والوفايات. وكذلك في سيادة علاقات اتماعية مدينة استلزمت تغييرات راديكالية في سلم القيم سواء بعد الاستقلال أو خلال مرحلة بناء الدولة أو بعد التغيير السياسي الأصل سنة سبع وثمانين وتسعمائة والف.
- ٢- إن نسبة اقبال التونسي على المتغيرات التنموية والاجتماعية المتلاحقة، من شأنها التدخل المستمر في تحديد الاحتياجات الثقافية ووسائل إشباعها. وكذلك فإن اشتباك المداخلات الاجتماعية معالسياسات الثقافية من مواقع طبقية مختلفة من شأنها أن تدير صراعاً خلاقاً بين الإنتاج والاستهلاك الثقافي وهما العمود الفقري لآلية بيئة ثقافية سواء في طور التكوين أو في طور النضج من خلال الحراك الثقافي ومختلف توابعه.
- ٣- إن الاستجابة لتحديات العهد الاستعماري (الذي خطط عملياً للاستيطان) قد تجلت في المقاومة الثقافية المستبسلة التي أثمرت إنجازات بارزة في تكوين البيئة الثقافية التونسية المتصلة عبر محاولات التعريب وتحرير المبادرة الإبداعية والتشجيع على الحوار والاستشارات وهي عناصر محورية ثلاثة في البنية الثقافية الاجتماعية التونسية على الأول حسب الخطاب الرسمي وسياساته المعلنة.

^{٥٥}- د. شكري (غالي) الثقافة العربية في تونس، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٦، ص (٤٥).

- ٤- استمرارية الاصاله والتحديث في ظل الهيمنة العثمانية او عهد الاحتلال الغربي كفل للبيئة الثقافية في تونس مقومات الاستمرار والفاعلية رغم الحصار المزدوج من التخلف بانواعه والتبعية باشكالها والمستمره في مختلف اطوار التاريخ التونسي الحديث
- ٥- تعاني البيئة الثقافية التونسية من احوال التجزئة الاقليمية والتفتت العربي من ناحية ومن رواسب وامتدادات الامبريالية القديمة والجديدة من ناحية اخرى بعد عودة جحافل الاحتلال الى الغزو العسكري المباشر في موفى التسعينات، وهي معاناة اذكت الصمود الفكري وبواعث الانتفاض الثقافي من الانتلجنسيا العربية في تونس وزاد من التحديات الحضارية لديها.
- ٦- إن عملية البناء الثقافي في تونس تمثل اكثر الفعاليات المجتمعية دقة لانها تعتمد الاستمرارية والتواصل مع شان ثقافي اجتماعي يتصف بالتغيير المستمر، فقد افضت التحولات الاجتماعية والتربوية والسياسية عبر عقود الاستقلال الى ايجاد جمهور جديد خاصة من فئات الناشئة (الاطفال والشباب) ولهذا الجمهور متطلبات جديدة تستند إلى قيم متجددة ذوقا وفكرا باعتبار أن التركيبة الديمغرافية التونسية في أكثر من نصفها تعد شابة وقد باتت هذه الفئات توظف أكثر فأكثر تقنيات الاتصال ووسائل الإعلام الجماهيري في عمليات الإنتاج والاستهلاك والترويج الثقافي..
- ٧- أصبحت الثقافة التونسية بمختلف أنساقها الإبداعية أكثر قدرة على الانتشار الإقليمي مغاربيا وعربيا وإسلاميا وحتى إفريقيا بفضل جهود الإشعاع الخارجي وتخطي دوائر المحلية من قبل بعض المنجزات الثقافية وهي تمتلك نماذج تاريخية أثبتت أهميتها وإشعاعها ونكتفي بذكر بعض إعلامها ممن رصعوا التاريخ العربي على غرار ابن خلدون وقبله الإمام سحنون وفي التاريخ الحديث والمعاصر الشيخين محمد الطاهر ومحمد الفاضل بن عاشور وأبو القاسم الشابي والطاهر الحداد والشيخ الخصر حسين وبيرم التونسي.. الخ^{٥٦} وبهذا إذن يتأكد لدينا ان خصائص البيئة الثقافية جميعا وبملاحها سابقة الذكر هي المحدد لأبعاد الشخصية الثقافية التونسية.

خاتمة

إن مختلف المقومات والمكونات الثقافية التي تناولها عرضنا تساهم في رسم جوانب من الشخصية التونسية وتمظهراتها الثقافية، وإن غلبة الطابع السلبي لملاح تكوين الشخصية التونسية، لما يراه البعض اغترابا أو تغربا أو استتفارا أو انبئاتا ثقافيا.. إنما هو اثر تراكمي لفواعل حضارية حاصلها تعاقب المد الاستعمار والغزو والاحتلال والوصاية والتبعية والحماية... الأجنبية التي حولت افريقية في تاريخها القديم وتونس في عهدها المعاصرة والحديثة ولعوامل جغرافية صرف تتصل بموقعها ووجودها الجيوستراتيجي عنوانا متقدما للأجندات الامبريالية وحديثة ثقافية خلفية ربما كما كانت مطمورا للإنتاج الفلاحي للإمبراطوريات القديمة. فالبرغم من محاولات التأصيل الحضاري وتجذير الهوية، وبرامج التعريب اللغوي والثقافي وخصوصا منذ سنة ١٩٨١ ثم في التسعينات، إلا أن الاستهلاك الثقافي لا يزال يستخدم لغة أجنبية هي الفرنسية أو لغة هجينة تعرف بالفرانكو أراب وهي لغة مزوجة تهدد نقاء وبقاء اللغة الوطنية والهوية الجماعية وهو ما رأى فيه الأستاذ محمود النوادي تخلفا آخر "أو هو بالأحرى"

^{٥٦} - بوطالب (محمد نجيب)، الثقافة عنصرا فاعلا في التنمية، مجلة الحياة الثقافية العدد (١٩٧) تونس، نوفمبر ٢٠٠٨ ص (٢٨-٣١).

عنده تجل لوجه آخر للمجتمع التونسي الحديث" * وسواء أكانت اللغة عربية أم فرنسية أم هجنته لخليط منهما فان الطابع الاستهلاكي اليوم يهدد التطور والتأصل والبقاء الثقافي.

* "التخلف الاخر" و"الوجه الاخر للمجتمع التونسي الحديث" هما عنوانان لمؤلفي الدكتور محمود الذواوي عالج في مساحات واسعة منهما المسالة اللغوية في تونس.

بيبيو غرافيا

بيبيو غرافيا

المصادر والمراجع باللغة العربية

١. التهانوي (محمد علي) : كشف اصطلاحات الفنون، تحقيق محمد وجيه وآخرون، كسته (١٨٦٢)، ج (٢)، حرف الواو.
٢. التونسي الزواري (سارة) : المعجم الفلسفي النقدي، مطبعة التفسير الفني، صفاقس، تونس (٢٠٠٥)، حرف "الهاء".
٣. الموسوعة الفلسفية : وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفييتيين، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، بيروت (١٩٧٤) ط (١)، حرف الهاء.
٤. الفارابي. التعليقات ص (٢١)، نقلا عن جميل صليبا. المعجم الفلسفي، ط دار الكتاب اللبناني، بيروت (١٩٧٣) ج (٢).
٥. غدنز (أتوني)، علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)، ترجمة وتقديم د. فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، مؤسسة ترجمان، ط (١). بيروت أكتوبر (٢٠٠٥).
٦. كوش (دونني)، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة قاسم مقداد، منشورات اتحاد الكتاب الرب، دمشق (٢٠٠٢).
٧. حسن (سمير إبراهيم)، الاستراتيجيات والسياسات الثقافية الوطنية والقومية ودورها في ترسيخ الهوية والأمن الثقافي العربي، المجلة العربية للثقافة، العدد (٤٦) مارس (٢٠٠٥).
٨. خالدية (الضاوي)، شخصية التونسي : محصول الجغرافيا والتاريخ ، تونس (د ت).
٩. علي (نبيل)، استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعريف بالهوية العربية واثرائها والتحدي الاسرائيلي المعلوماتي، المجلة العربية للثقافة، العدد (٤٦)، الألكسو، تونس مارس آذار (٢٠٠٥).
١٠. بن عامر (توفيق)، الهوية الثقافية بين الثبات والتغير، مجلة الحياة الثقافية، العدد (١٩٧) تونس نوفمبر (٢٠٠٨).
١١. القباچ (مصطفى)، إسهام الثقافة في الحفاظ على القيم الحضارية والإنسانية، مجلة الحياة الثقافية العدد (١٨٧) تونس نوفمبر (٢٠٠٧).
١٢. الشياوي (عفت) ، مشكلة الهوية بين الثابت والمتحول في الفكر الإصلاحية. ملتقى الذات والآخر، - منشورات مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، تونس (٢٠٠٣).
١٣. محفوظ (محمد) الفكر الإسلامي المعاصر ورهانات المستقبل، المركز الثقافي العربي ط (١)، الدار البيضاء، المغرب (١٩٩٩).
١٤. جاكوب (فرانوا) لعبة الممكنات، بحث في تباين الحي، دار الحصاد، دمشق (١٩٩١).
١٥. حرب (علي)، مصيدة الأسماك والهويات، ندوة الآخر، منشورات كلية الآداب صفاقس، ط ١، نوفمبر، صفاقس (٢٠٠٠).

١٦. وصفي (عاطف) ، الأنثروبولوجيا الثقافية للدكتور ، دار النهضة العربية بيروت (١٩٧١).
١٧. بوطالب (محمد نجيب) الثقافة عنصرا فاعلا في التنمية والحياة الثقافية العدد (١٩٧) تونس، نوفمبر ٢٠٠٨.
١٨. بوكليز موسكاو، سيسلاو فيافريقيا (رحلة أمير ألماني إلى الإيالة التونسية ١٨٣٥ م) عربيه منير الفندري، بيت الحكمة. تونس (١٩٨٩).
١٩. خوالدية (الضاوي)، شخصية التونسي، محصول الجغرافيا والتاريخ، تونس (د.ت).
٢٠. سالم (نادية)، الشخصية القومية بين الدراسات الوضعية والدراسات القومية، الملتقى الأول للجامعيين التونسيين والمصريين، "الذاتية العربية بين الوحدة والتنوع"، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بالاشتراك مع المركز لقومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة. تونس ١٢-١٧ أفريل (١٩٧٨).
٢١. حجازي (عزت)، الشخصية العربية، وحدة أم تنوع.
٢٢. خوالدية (الضاوي): الذات والأسرة التونسية في القرن التاسع عشر، مطبعة (JMS)، (د.ت).
٢٣. ابن أبي الضياف (أحمد)، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الدار التونسية للنشر تونس ١٩٨٩، ج (٤).
٢٤. شارل أندريه جوليان، المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي، تعريب محمد مزالي والبشير سلامة، الشركة التونسية للتوزيع (د.ت).
٢٥. الزواوي (محمود)، الوجه الآخر للمجتمع التونسي، عبر الزمان، تونس ٢٠٠٦.
٢٦. ابن خلدون (عبد الرحمان) : المقدمة، مكتبة المثنى، بغداد (د.ت).
٢٧. بيرم الخامس (محمد): القطر التونسي في صفة الاعتبار، تحقيق علي الشنوفي، بيت الحكمة، تونس (١٩٨٩).
٢٨. جعيط (هشام)، الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي، دار الطليعة ط (١) بيروت، (١٩٨٤).
٢٩. الحداد (الطاهر) ، العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية ، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس (١٩٨٧).
٣٠. فريحه (صابر)، "حادثة حفل ستار أكاديمي صفاقس : حادثة تدافع أم اندفاعية شباب ؟ " جريدة الشعب التونسية العدد (٩١٧)، تونس ١٢ ماي ٢٠٠٧.

المصادر والمراجع باللغات الأجنبية

١. Pellissier, description de la régence de Tunis, 2 ect, Bouslama, Tunis, 1980.
٢. Dr. L.Frank et J.J. Marcel : Histoire de Tunis, 2éd. Bouslama Tunis.
٣. Luis Frank, et J.J.Marcel.Histoire de Tunis, 2émeéd, Bouslama Tunis.
٤. E.Pellissier, Description de la regence de Tunis, 2eme ed, E. Bouslama .Tunis (1980).

جميع الحقوق محفوظة © 2020، الدكتور صابر فريحه، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي. (CC BY NC)